الفصل السادس

البعد التربوي للمقابلات والأسئلة: رؤية من واقع الثقافة العربية الإسلامية

عندما نتحدث عن البعد التربوي بخصوص المقابلات والأسئلة خاصة من خلال منظور واقع الثقافة العربية الإسلامية، فإن هناك عدة مستويات يمكننا تناولها بالتحليل، ولكن نود هنا أن نحدد خطاً فاصلاً بين قيم ثقافتنا العربية الإسلامية الأصلية التي تدعونا إلى التزود بكل فروع العلوم وتأمل سؤال الكيفية حيث يأمرنا المولى عز وجل بهذا السعي فيقول جل علاه ﴿**قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق**﴾ (سورة العنكبوت، الآية ٢٠) وبين واقع الممارسات السلبية التي هي من صنعنا وعلينا أن نقوم بعلاجها وتقويمها، وهنا أرصد النقاط التالية التي ستكون بمثابة مكونات هذا الجزء من الدراسة وهي:

(١) ماذا نجد على صعيد المشاكل التي تواجه الباحث في استخدام الأسئلة والمقابلات والاستبيانات؟

(٢) ماذا نجد على صعيد مكون الأسئلة وتقنياتها واستخداماتها وتوظيفها في مجال تدريس اللغات وتعلمها؛ خاصة فيما يتعلق باللغة العربية؟

(٣) ماذا عن أهمية النظر للأسئلة وتقنياتها من منظور علم اللغة الاجتماعي في تنمية مهارات التفاوض الإيجابي والتفكير المستقبلي؟

(٤) ماذا عن مجالات الدراسة والبحث المستقبلي بخصوص مفهوم الأسئلة طبقاً للمنظور الذي قدمته هذه الدراسة؟

[١] المشاكل التي تواجه الباحثين عند استخدام الأسئلة والمقابلات والاستبيانات:

من واقع الممارسات التي نراها تتجسد في العديد من الأبحاث التي نقدم المشورة والنصح بخصوصها، وكذلك من واقع الأدبيات التي تناولت بالعرض والتحليل أدوات البحث العلمي؛ نجد من المشاهدات المتكررة كثيراً ما يلي:

على صعيد مسألة أو مشكلة البحث:

- ترتبط مسألة أو مشكلة البحث ارتباطاً عضوياً بالأسئلة، خاصة بالأسئلة التي سُميت بأسئلة المرآة التي عرضنا لها في القسم الأول، والتي تستخدم في استجلاء موضوع ما وتحديد زواياه من خلال سؤال رئيس وأسئلة فرعية متعلقة به، ثم يأتي دور الباحث في اختيار سؤال البحث الرئيس وأسئلته الفرعية ولا شك أن

القدرة على تحديد وطرح الأسئلة الجيدة وصياغتها على نحو دقيق هي التي تميز بحثاً عن بحث، والمشكلة التي يواجهها الكثيرون من طلاب الدراسات العليا ممن يعدون أبحاثهم هي افتقادهم القدرة والمهارة على صياغة مثل هذه النوعية من الأسئلة، كذلك فإن استخدام الاستبيان أو إجراء المقابلات كأدوات من أدوات البحث العلمي تحتاج إلى مهارة عالية من قبل الباحث حتى يتم تعظيم المنافع من استخدام مثل هذه الأدوات إذا دعت الحاجة إلى الاستعانة بها لتحقيق أهداف البحث.

[٢] ماذا نجد على صعيد مكون الأسئلة وتقنياتها في مجال تدريس اللغات وتعلمها، خاصة فيما يتعلق باللغة العربية؟

لا تزال مناهج تدريس اللغات وخاصة اللغة العربية في واقعنا تفتقد إلى أبعد الحدود في تبني الرؤية الحديثة والمركبة لدور الأسئلة وآلياتها في العملية التعليمية، ومن المنظور الحديث الذي يعكس العلاقة الديناميكية بين أفعال القول والأسئلة طبقاً للمنظور المقدم في هذه الدراسة، ولا يعدو الأمر في معظم المناهج التي تعرضنا لها بالتقييم أكثر مما نجده في كتاب مثل كتاب الأستاذ الفاضل د. أحمد شلبي، تعليم اللغة العربية لغير الناطقين

بها، بشكل أو بآخر[٤٧] حيث يقتصر موضوع الأسئلة وآلياتها على ما يعرف في أدبيات النحو بأساليب الاستفهام.

وفيما يلي نص ما حظي به هذا الموضوع كمجرد مثال متكرر بشكل أو بآخر في العديد من كتب تدريس العربية:

الدرس التاسع

صيغ الاستفهام

مَنْ يُعَلِّمُ التَّلاَميذَ؟	لِلسُّؤَالِ عَنْ (الشَّخْصِ)
مَاذَا اشْتَرَيْتَ مِنَ السُّوقِ؟	لِلسُّؤَالِ عَنْ (الشيء)
أَيْنَ كُنْتَ؟	لِلسُّؤَالِ عَنْ (الْمَكَانِ)
مَتَى عُدْتَ؟	لِلسُّؤَالِ عَنْ (الزَمَانِ)
كَمْ ثَمَنُ هذَا الكِتَابِ؟	لِلسُّؤَالِ عَنْ (الْعَدَدِ)
كَيْفَ حَالُكَ؟	لِلسُّؤَالِ عَنْ (الْحَالِ)
لِمَاذَا تَتَعَلَّمُ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَةَ؟	لِلسُّؤَالِ عَنْ (السَّبَبِ)
هَلْ فَهِمْتَ الدَّرْسَ؟	لِلسُّؤَالِ عَنْ (حُدُوثِ شيءٍ أَوْ عَدَمِ حُدُوثِه)

(كتاب د. شلبي ص ٢٣٠)

وإذا كان أمر تناول الأسئلة وآلياتها في مناهجنا لا يتعدى هذا القدر المبين أعلاه فهناك مناهج وكتب عديدة تتجاهل الأمر برمته أو تعالجه بشكل هامشي للغاية(٤٨).

[٣] ماذا عن أهمية النظر إلى الأسئلة وتقنياتها من منظور علم اللغة الاجتماعي في تنمية مهارات التفاوض الإيجابي والتفكير المستقبلي؟

من المفتقدات على ساحة التفاعلات الثقافية هو شيوع ظواهر تفاعلية شديدة السلبية أدت إلى حدوث اشتباكات خاطئة ما كان ينبغي لها أن تكون في واقعنا الثقافي المعاش، حيث تشيع ظواهر الإطلاقية التي تأخذ أحياناً كثيراً صورة الاستخدام التسلطي للأسئلة المغلقة في غير سياقاتها واستخدام الأسئلة التوجيهية التي لا تترك مساحة للرأي الآخر والاختلاف الصحي كذلك تفتقد تفاعلات إقامة الحجج إلى طرح الأسئلة المرتبطة بمفهوم سؤال الشك الصحي Healthy doubt ليحل محلها أسئلة التشكيك وتأطير الآخرين ومستوى التفاعل التناحري، ومن ثم فإن تدريس وتنمية مهارات استخدام الحجج المنطقية وعلى أساس علمي تقني لابد أن يكون السؤال وصياغته وآلياته المتعددة التي تعرضنا لها في منتصف العملية التعليمية، ولعل الفصل الثالث من هذه الدراسة قد أوضح أهمية خاصة لهذا الأمر من خلال

تفاعلات حقيقية في واقعنا، كذلك لمزيد من التفاصيل بخصوص عناصر وأنواع وأساليب إقامة الحجج أحيل القارئ الكريم إلى كتابي بعنوان «**أزمة الخليج ولغة الحوار السياسي في الوطن العربي**» (٤٩) ولا شك أن طرق التدريس الحديثة التي تركز على الفكر المستقبلي "Futuristics" لا تكتفي بأن تجعل الطالب يتحلى بالرؤية المستقبلية بعيدة المدى ومحاولة التنبؤ بالمشاكل المعاشة ومحاولة الإسهام في حلها بل إنها تعطي قدراً كبيراً من الأهمية لتنمية مهارت السؤال وآلياته المتعددة من خلال أسلوب المحاكاة Simulation لمواقف ومشاكل من المحتمل مواجهتها مستقبلياً(٥٠).

[٤] ماذا عن مجالات الدراسة والبحث المستقبلي بخصوص مفهوم الأسئلة وآلياتها طبقاً للمنظور الذي عُرضت به في هذه الدراسة؟

لا يتوقف علم اللغة الاجتماعي – كأي علم – عن النمو ومصدر هذا النمو هو تحليل مزيد من البيانات في السياقات المختلفة، فهنا تتأكد ظواهر تم اكتشافها في سياقات سابقة أو يتم إعادة تقويمها واكتشاف المزيد بخصوصها أو يتم اكتشاف ظواهر جديدة، ولا شك أن ظاهرة التفاعل وظاهرة استخدام اللغة كظاهرة إنسانية ما هي إلا ما يمكن أن نسميه بظاهرة خصوصية السياق "Context Specific"، من هنا أجد أننا بحاجة ماسة إلى مزيد

من دراسة الأسئلة وأدوات الاستفهام بالمنظور المقدم هنا في سياقات لم يتم التطرق لها بالقدر الكافي والملائم ولعلي أرصد السياقات التالية:

(١) يقول الحق جل علاه ﴿ **قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي..** ﴾ (الكهف ١٠٩) وهنا أجد أننا بحاجة إلى دراسة أو دراسات مستفيضة عن آليات الأسئلة وأدوات الاستفهام من المنظور القرآني وكذلك بالرجوع إلى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم.

فوظائف الأسئلة وأساليب الاستفهام في لغة القرآن الكريم بحاجة إلى أن تدرس، فلكل منها سياق خاص ووظيفة أو وظائف جديرة لمزيد من التأمل العلمي والاستكشاف.

فالحق تعالى يقول في كتابه العزيز:

- ﴿ **وإذا سألك عبادي عني، فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون** ﴾ (البقرة ١٨٦)

- ﴿ **اهبطوا مصراً فإن لكم ما سألتم..** ﴾ (البقرة ٦١).

- ﴿ **يا قوم لا أسئلكم عليه أجراً إن أجري إلا على الذي فطرني** ﴾ (هود ٥١).

- ﴿ **قال ربِّ إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم** ﴾ . (هود ٤٧)

- ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا تسئلوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم** ﴾ (المائدة ١٠١)

- ﴿ **ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فسئل بني إسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون إني لأظُنك يا موسى مسحوراً** ﴾ (الإسراء ١٠١) .

- ﴿ **ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون** ﴾ (البقرة ٢١٩)

إن السياقات التفاعلية التي تتعلق بآليات الأسئلة قد وردت في العديد من الآيات القرآنية الكريمة بصور متعددة كذلك فإن بُنى الاستفهام كثيرة ومرتبطة بأفعال قول عديدة وهناك دراسة تراثية هامة لا بد من الرجوع إليها لاستكمال المسيرة قد وقعت بين يدي للعلامة شمس الدين بن الصائغ بعنوان **روض الأفهام في أقسام الاستفهام**، نقلاً عن كتاب الإتقان للسيوطي (جـ٢، ص١٧١، ١٧٢، ١٧٣) حيث يرد بها العديد من البُنى الاستفهامية التي عبر عنها السؤال في القرآن الكريم مثل :

الإنكار: ﴿ فهل يُهلك إلا القوم الفاسقون ﴾، **والتوبيخ**: ﴿ أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر ﴾، **والتعجب**: ﴿ كيف تكفرون بالله ﴾.

العتاب: ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ﴾.

التفخيم: ﴿ ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة ﴾.

التهديد والوعيد: ﴿ ألم نهلك الأولين ﴾، **والترغيب** نحو ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً ﴾.. **والتمني**: نحو ﴿ فهل لنا من شفعاء ﴾، **والاستبطاء**: نحو ﴿ متى نصر الله ﴾، **والتجاهل**: ﴿ أأنزل عليه الذكر من بيننا ﴾.

(٢) لابد من التطرق لبيانات هامة جداً في واقعنا تكشف المزيد عن آليات الأسئلة وعن ظاهرة اللغة في سياقات مثل:

- لغة الحوار والتنازع القضائي (٥١).
- لغة الحوار الإداري (٥٢).
- لغة الحوار الاجتماعي.
- لغة الحوار في السياق التعليمي (تفاعل الأساتذة والطلاب).
- لغة لجان مناقشة الرسائل العلمية.
- لغة الحوار بين الأطباء والمرضى.

كل هذه السياقات وغيرها بحاجة إلى مزيد من الاستكشاف والدراسات عموماً، ولاستجلاء مزيد من التوضيحات أو اكتشاف ظواهر جديدة تتعلق بالأسئلة والظواهر التفاعلية الأخرى المصاحبة لها لمزيد من فهم لغتنا ولفهم ذاتنا واستخلاص ما ينبغي أن نأخذه بعين الاعتبار في تدريس اللغات وخاصة لغتنا العربية لغة القرآن الكريم ولغة ثقافة رفيعة، والله ولي التوفيق.